مجلة جامعة صبراتة العلمية
Sabratha University Scientific Journal

مجلة علمية نصف سنوية محكمة متخصصة في العلوم الإنسانية
تصدرها جامعة صبراتة بشكل الكتروني

اللهجة الليبية وأبعادها الإشارية التداولية: ديوان الشاعر المجاهد فضيل حسن الشلماني أنموذجًا

The Libyan dialect and its indicative, pragmatic dimensions: the collection of the Mujahid poet Fadil Hassan Al-Shalmani as a model

د. زينب عبد السلام المقوز
محاضر بقسم اللغة العربية كلية الآداب والتربية صبراتة - جامعة صبراتة
Zainababdusslam1971@gmail.com

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية:
2017-139

الترقيم الدولي:
ISSN (print) 2522 - 6460
ISSN (Online) 2707 - 6555

الموقع الألكتروني للمجلة:
https://jhs.sabu.edu.ly

اللهجة الليبية وأبعادها الإشارية التداولية: ديوان الشاعر المجاهد فضيل حسن الشلماني أنموذجًا

The Libyan dialect and its indicative, pragmatic dimensions: the collection of the Mujahid poet Fadil Hassan Al-Shalmani as a model

د. زينب عبد السلام المقوز*

الملخّص:

يفتح البحث اللغوي الحديث آفاقًا جديدة لا تقتصر على اللغة الفصحى, بل تتعدّاها إلى اللهجات العربية كاللهجة الليبية؛ طالما لها مقاصد ودلالات تداولية تؤدّي المعنى, وتوصّل رسالتها التبليغية المقصودة, إذ تشكّل اللهجات محورًا للدراسات التداولية؛ لأنّها تحقّق الاتصال والتواصل بين أطراف العمليّة التواصليّة؛ ولأنّ التداوليّة تهتمّ بالمعنى المقصود داخل سياق النصّ الشعريّ, وتحديدًا المعنى المستعمل الذي يظهر من خلال دراسة المنطوق اللغويّ؛ فارتأيت في هذه الدراسة العلمية أن أجمع بين ألفاظ اللهجة الليبية والإشاريّات التداوليّة، ومفاهيمها، وأبعادها المنهجيّة.

الكلمات المفتاحية: اللهجة الليبية – التداولية – الاتصال والتواصل – النصّ الشعريّ.

The Libyan Dialect and its Indicative and Pragmatic Dimensions: The Poetic Collection of the Fadil Hassan Al-Shalmani as a Model

Abstract:

Modern linguistic research opens new horizons which are not limited to the standard language, but is extended to Arabic dialects such as the Libyan dialect. As long as it has pragmatic purposes and connotations that convey meaning and deliver its intended message, dialects form the focus of pragmatic studies. Dialects enable contact and communication between the parties of the communication process. Pragmatics is concerned with the intended meaning within the context of the poetic text, specifically the used meaning that appears through the examination of the linguistic utterance. Therefore, this paper is an attempt to combine the words of the Libyan dialect with pragmatic deictics, their concepts, and their methodological dimensions.

Keywords: *Libyan dialect - pragmatics - communication and communication - poetic text.*

أسباب اختيار البحث:

يعدّ هذا البحث قراءة معاصرة في اللهجة الليبية وأبعادها الإشاريّة التداوليّة، عن طريق دراسة ألفاظها كما وردت في شعر الشاعر الليبي المرحوم فضيل حسن الشلماني, لما تمتاز به الإشاريّات التداوليّة من اهتمام بالمتكلّم ومقاصده, وبالنصّ الشعريّ وسياقه اللغويّ للوصول إلى قصدية الشاعر.

أهداف الدراسة:

تدور الدراسة حول البحث في التساؤلات التالية:

- ما التداوليّة؟ وما أبعادها الإشاريّة؟ وما علاقتها بقصد المتكلّم في النصوص الشعرية؟
- هل لأبعاد الإشارات التداوليّة ظهور في الشعر الليبيّ؟
- كيف وظّف الشاعر الليبي اللهجة الليبية لإظهار مقاصده؟

* دكتوراه اللسانيات الصوتية
محاضر بقسم اللغة العربية كلية الآداب والتربية صبراتة - جامعة صبراتة
Zainababdusslam1971@gmail.com

وللإجابة على هذه التساؤلات التي طرحت, اخترت هذا العنوان: (اللهجة الليبية وأبعادها الإشاريّة التداوليّة), وكان ديوان الشاعر الليبيّ فضيل حسن الشلماني – رحمه الله – موضعًا للدراسة والبحث العلمي في النصّ الشعريّ الليبيّ.

منهج الدراسة:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفيّ التحليليّ, لوصف بعض ألفاظ اللهجة الليبيّة في الشعر الليبيّ, وتحليلها في ضوء المنهج التداوليّ, وذلك عن طريق دراسة جانبين هما:

- الجانب النظريّ, ويتمثّل في الكلمات المفتاحية التالية:

التعريف بالتداولية – الأبعاد الإشارية – التعريف باللهجة – التعريف بالشاعر وديوانه الشعري.

- الجانب العمليّ, ويتمثّل في نماذج تطبيقية للأبعاد الإشارية التداولية في الشعر الليبي.

أوّلًا: الجانب النظريّ من الدراسة

1 ـ تعريف التداولية لغة، واصطلاحًا:

التداولية في اللغة:

مشتقّة من الفعل الثلاثيّ (دَوَلَ)، التي تدور معانيها حول الانتقال والتحوّل بين الأطراف، والتي تعدّ أصلًا للتواصل، والتفاعل، والاستعمال، ففي مقاييس اللغة، يقول ابن فارس:" تداول القوم الشيء بينهم، إذ صار بغضهم إلى بعض، والدَّولة والدُّولة لغتان، ويقال بل الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب، وإنّما سُمِّيا بذلك من باب قياس الباب لأنه أمر يتداولونه فيتحوّل من هذا على ذاك، ومن ذاك إلى هذا"،[1] وجاء في لسان العرب:" تداولنا الأمر أخذناه بالدُّول، وقالوا دَوالَيك أي مُداولةً على الأمر ... ودالَت الأيام أي دارت، والله يداول بين الناس، وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة... وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تَعاوَرناه فعمل هذا مرة وهذا مرة "[2]

ومن الشواهد القرآنية التي وردت بهذا المعنى، قوله ـ تعالـ: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِياءِ مِنكُمْ﴾،[3] وقوله ـ تعالى ـ ﴿ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ ﴾.[4]

التداولية في الاصطلاح:

تعدّ التداوليّة فرعًا من فروع العلوم اللسانية، فهي تدرس اللغة في سياقها، وتبيّن مقاصد المتكلّم ومعانيه المقصود إيصالها؛ لهذا سمّيت بعلم الاستعمال اللغوي، ولا تقتصر التداولية على الجانب اللغوي في العملية الكلامية، بل تتعدّاها إلى عناصر خارجية، كالمتكلّم، والمخاطَب، وزمان ومكان التواصل التخاطبيّ؛ لمعرفة المعنى الذي يقصده المتكلّم؛[5] لأنّ المعنى" ليس فيما يقوله النحاة، أو ما تقول المعاجم، على ما لكليهما من أهمية، ولا في العمليات المعرفية المجرّدة من سياقاتها، لكن فيما يقصد من

يستخدم اللغة وما يريد، وفيما يفهم من يتلقّاها ـ استماعًا أو قراءة ـ وفيما ينتج من دلالات من خلال ظروف السياق".[6]

وأصل مصطلح التداولية (pragmatique) في الدراسات الغربية يعود إلى الكلمة اللاتينية (pragmatic us)، من الجذر (pragma)، بمعنى العمل أو الفعل.

أما مصطلح التداولية فقد استخدمه طه عبد الرحمن سنة 1970م، مقابلًا للمصطلح الغربي (براجماتيكا)، وعلّل سبب اختياره للمصطلح لدلالته على معنيي الاستعمال والتفاعل معًا،[7] وهو بهذا المعنى ترتبط فيه الدلالة الاصطلاحية مع الدلالة اللغوية.

تعددت وجهات نظر علماء اللسانيات حول تعريفهم لمصطلح التداولية؛ وذلك باختلاف وجهة نظرهم، وبتعدد المنظور الذي تناولوا منه مصطلح التداولية، وذلك على النحو التالي:

1. من تناولها من جهة الخطاب، جعلها مجموعة من البحوث التطبيقية للسانيات، والتي تهتمّ بالاستعمال اللغوي، وملاءمته مع التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية.[8]
2. ومنهم من تناولها من ناحية دراسة كيفية عملية الإيصال، أي علاقتها بالمرسل، وكيفية" إدراك المعايير والمبادئ التي توجّه المرسل عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء عناصر السياق، بما يكفل ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده".[9]
3. وربطها آخرون بالسامع (المستقبل)، وكيفية التلقي، والطريقة التي يصوغ من خلالها المستمع استدلالاته حول المقاصد، للوصول إلى المعنى الذي يقصده المتكلّم، فعدّوها بذلك فرعا من فروع علم اللغة، يبحث في كيفية اكتشاف السامع لمقاصد المتكلم.[10]

ومن كلّ الآراء السابقة يتبن اهتمام التداولية بدراسة اللغة في أثناء التواصل والاستعمال، حتى إنها تتجاوز المعاني الأوّلية للمفردات المتعلّقة بالبنية والدلالة، إلى معانٍ أخرى تكتسبها من السياق الداخلي والخارجي المتمثّل في المقام، فالتداولية بهذا المعنى هي: " إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرّف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية من ثمّ جديرة بأن تسمّى علم الاستعمال اللغوي".[11]

2 ـ تعريف الأبعاد الإشاريّة:

الإشاريّات لغة:

الإشارة مصدر الفعل(أشار) من مادة (شور)، التي تدور معانيها حول الإشارة إلى الشيء، أو الإشارة عليه بأمر، يقول ابن منظور:" وأشار عليه بأمر كذا: أمره به وأشار الرجل يشير إشارة، إذ أوْمأ بيديه، ويقال: شوَّرْتُ إليه بيدي، وأشرت إليه، أيْ لوَّحتُ أليه وألحْتُ أيضًا، وأشرت إليه باليد أومأ وأشارعليه".[12]

الإشاريّات في الاصطلاح:

الإشاريّات (deixis) مصطلح لسانيّ يعدّ من أهمّ آليات الأبعاد اللغويّة في التحليل التداوليّ؛ لأنّها تجمع بين العلاقات التركيبيّة للغات، وسياقاتها التي وردت فيها، أي أنها تربط بين السياق اللغويّ والسياق المقاميّ؛ لهذا تستخدم كعامل ارتكاز في تكوين بنية الخطاب حين يستخدمها المتكلّم للإحالة إلى المعلومات السابقة، غير أنّ مدلولها لا يتّضح إلا عند الاستعمال، ومعرفة عناصر العمليّة الكلاميّة، أثناء التبادل الخطابيّ، لكونها لا تستطيع بمفردها تعيين مرجعها لتغييره بتغير موضع التلفّظ؛ ولخلوّها من إيّ معنى في ذاتها، إلا أنها تشكل سمة تداوليّة؛ لارتباطها بالمركز الإشاريّ الذي يمثّل لأهمّ عناصر المقام، فتصبح أهمّيتها تكمن في الإحالة إلى المعلومات السابقة التي أرادها المتكلّم والمخاطب في خطابهما.[13]

وقد أطلق علماء العرب المتقدّمون مصطلح المبهم أو المضمر على الإشاريات،[14] في حين أطلق علماء اللسانيات المحدثون عدّة مصطلحات عليها، فاستعمل رومان جاكبسون مصطلح القرائن المدمجة أو الواصلة (embrayeurs)، أما شارل بيرس، ومحمود نحلة، فقد استخدما مصطلح الوحدة الإشارية (index)، وأما مصطلح الملفوظية فهو عند جان سيرفوني، وقاسم المقداد ومحمد مفتاح، وأمّا مصطلح التعيين والمعينات فهو عند محمد يونس، ومصطلح الكنائيات عند تمام حسّان، واسم الإشارة عند أحمد المتوكل.[15]

وفي ضوء تعدّد المصطلحات اللسانية للإشاريّات، عُرّفت بأنّها:" العلامات اللغوية التي لا يتحدّد مرجعها إلا في سياق الخطاب الذي وردت فيه؛ لأنّها خالية من أيّ معنى في ذاته، لذلك سمّيت مبهمات أو متحوّلات، أو المعينات، ورغم أنّ كلّ الكلمات في اللغة تحيل على مدلول معيّن، إلا أنّ الإشاريات تتواجد في المعجم الذهني للمتكلّمين باللغة دون ارتباطها بمدلول معيّن".[16]

وبذلك فالإشاريّات هي وحدات لغويّة لها أبعادها التداوليّة في سياق الاستعمال، تساعد على فهم الخطاب، لخلق التواصل بين المتكلّم والمخاطب؛ لهذا قسّم لفسون levinson الإشاريّات على خمسة أنواع هي: الإشاريات الشخصية، والزمانية، والمكانية، والاجتماعية، وإشاريّات الخطاب.[17]

3 ـ تعريف اللهجة لغة، واصطلاحًا:

اللهجة في اللغة:تطلق اللهجة في اللغة ويراد بها اللسان، أو لغة القوم التي اعتادوها، يقول الزبيدي فيها:" اللهجة هي اللسان أو طرفه، أو اللغة التي جُبل عليها الإنسان فاعتادها ونشأ عليها".[18]

اللهجة في الاصطلاح:

اللهجة عند علماء العربية المحدثين مجموعة من الخصائص اللغوية (صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية)، يتكلّم بها أفراد، ويتميّزون بها في بيئتهم الجغرافية الواحدة، يقول إبراهيم أنيس:" هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضمّ عدّة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعًا في

مجموعة من الظواهر اللغويّة التي تيسّر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما يدور بينهم من حديث".[19]

4 ـ التعريف بالشاعر، وديوانه[20]

التعريف بالشاعر:

اسمه:

هو فضيل حسين يونس بشيش الشلماني، من قبيلة الدرسة، ولد في منطقة المرصص غرب طبرق، سنة 1877م.

سيرته:

تعلّم القرآن الكريم، وبدأ الشعر، وهو في السابعة من عمره، في زاوية المرصص والجغبوب والعزيات، التحق بحركة المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي، وشارك في عدّة معارك، كمعركة المدوّر، ومعركة جعيدة، ومعركة الرحيبة، اعتقل من قبل الإيطاليين، وأودع في سجن بنغازي، ثم رُحّل مع المعتقلين الليبيين إلى سجن مدينة سيراكوزة في جزيرة صقلية الإيطالية، وقضى سبع سنوات في سجن جزيرة فافنيانا مع رفاقه، ووثّق هذه المعاناة في قصائد تبين مأساتهم ومعاناتهم تحت ظلم الاحتلال الإيطالي، حتى صدر العفو الإيطالي العام عليهم، فرجعوا إلى ليبيا سنة 1929م، ثم هُجّروا من البطنان إلى معتقل المقرون مع من هُجّر من الليبيين آنذاك، بعد انتهاء حركة المقاومة باستشهاد شيخ الشهداء عمر المختار، عاد شاعرنا إلى منطقة المقرون، حيث قضى ـ رحمه الله ـ نحبه فيها فجر يوم الأحد 1952م.

التعريف بديوانه[21]:

وصلت أشعار وقصائد الشلماني عن طريق عدد من الرواة، منهم:

1. محمد فضيل حسين الشلماني، ولد سنة 1911م، شارك مع شاعرنا في عدد من المعارك ضدّ الاحتلال الإيطالي، وسجن معه في بنغازي.
2. عبد العالي فضيل الشلماني، ولد سنة 1928م، اعتقل في المقرون.
3. الحاج محمود الشريف، ولد في المرصص بطبرق، سنة 1897م، اعتقل من قبل الاحتلال الإيطالي وتمّ نفيه إلى المعتقلات الجماعية.

ثانيًا: الجانب العملي من الدراسة

تظهر الإشاريات في السياق الكلامي النسق التواصلي بين المتكلّم (المرسل) والمخاطب(المتلقّي)، وتبيّن كفاءة المتكلّم التداوليّة، ولا يتحدّد مرجعها إلا في السياق الكلامي؛ لأنّها لا معنى ظاهر لها وهي منفردة، فالنصوص تكتسب قيمتها من سياقها التداولي، بقصد إيضاح مقاصد المتكلّم المارد إيصالها للمخاطب.

تحاول هذه الدراسة أن تظهر دور الإشاريات التداوليّة في تحديد مفهوم النص وقيمته، عن طريق إعمال بعض المفاهيم التداولية كالإشاريات على نصّ شعري استخدم اللهجة الليبية لإظهار تلك المفاهيم، وبيان أنّ النص الشعري الليبي كغيره من النصوص الشعرية باللغة الفصحى، تظهر فيه العناصر الإشارية التداولية، ويمكن أن تحدّد مراجعها في السياق الشعري الليبي، والتي تمثّلت في ديوان الشاعر الليبيّ فضيل الشلماني، وذلك على النحو التالي:

أوّلًا:. الإشاريّات الشخصيّة، والإشاريّات الخطابيّة:

يقصد بالإشاريّات الشخصيّة والخطابيّة الإشاريّات الدالة على المتكلّم، أو المخاطب، أو الغائب، أو الإشارة إلى شخص، أو النداء، ويمكن حصرها كالتالي:[22]

1. الأنا، وهي ضمائر المتكلّم، والمخاطب.
2. الهنا، وهي أسماء الإشارة، والظروف المكانية.
3. الآن، وهي الظروف الزمانية.

وقد جعل علماء العربيةمن المبهمات: الضمائر وقسّموها إلى متصلة ومنفصلة، وأطلقوا مصطلح المبهمات على ضمير المتكلّم، والمخاطب، والغائب، والمنادى، واسم الإشارة، وظرفي الزمان والمكان، وأل التعريف، وقسّموا الضمير حسب موقعه في الكلام، إلى بارز ظاهر، أو مستتر غير ظاهرلا ينطقه المتكلّم دائمًا، بل يظهر في البنية العميقة، ويحتاج إلى كفاءة السامع في إظهاره، والإحالة إلى مرجعها،[23] فقالوا:" إذا قلت هذا الطويل، فإنما تريد: الرجل الطويل أو الرمح الطويل... فإذا ألبس على السامع فلم يدر إلى الرجل تشير أم إلى الرمح، وجب أن تقول: بهذا الرجل أو بهذا الرمح، فالمبهم يحتاج إلى أن يميّز بالأجناس عند الإلباس".[24]

وهو ما أوضحه العلماء المحدثون عندما ذكروا إنه لا يمكن للإشاريات بمفردها أن تحدّد إحالتها التداولية الخاصة بها عند استعمالها، إلا من خلال سياقها، وكفاءة المرسل إليه، لذلك سمّاها ميلر بفاقدة للاستقلالية الإحالية.[25]

ومن مظاهر الإشاريات الشخصية والتخاطبية في اللهجة الليبية، ووردت في ديوان فضيل الشلماني كنموذج، ما يلي:

1 ـ ضمائر المتكلّم:

تحيل ضمائر المتكلّم مرجع القول لصاحبه (المتكلّم) لتحقيق غرضه من العملية الكلامية، وهو الذات المحورية في الخطاب، وقد وردت في اللهجة الليبية ظاهرة أو مستترة، متصلة أو منفصلة، واستعملت للمفرد وللجمع، وذلك في ديوان الشلماني، سأقتصر على بعض منها، كنماذج للتوضيح:

أ ـ يقول الشاعر في قصيدته (في حجف ضيّق):[26]

بتْنا نخمُّوا والقلوب شفاقة والكْبود راحَنْ في الْفواد تريد

مُفّيتْ زولْ واحد ما معاي رفاقة مقرون فيَّ ويْحنّن تقول غدير

في البيتين السابقين يتحدّث الشاعر عن معتقلين معه في السجن، دلّ على ذلك الضمير المتصل بالأفعال (بتنا، ونخمّوا)، ويشير الشاعر إلى وجود رفيق معه في الزنزانة، استطعت تحديده عن طريق الضمير المستتر في الفعلين (يحنّن، تقول)؛ ولأنّ الإشاريات تشكّل جزءًا من المرجعيات، فتطابق في هذين البيتين العنصر الإشاري ومرجعه، وكانت العلاقة حقيقة، أظهرتها الضمائر، التي ربطت بين واقع الحدث وصدق المتكلّم.

ب ـ ورد عند الشاعر ضمير المتكلّم للمفرد، ليعرّف بالشاعر، أو لينجز فعلًا إخباريًا، ومنه قوله في قصيدته (تهاتن على البطنان):[27]

نا هو اللي صوبْني مْعاكن عايب الغربة تْخلّي الكبد كيف الشنَّة

فهو يخبرنا في هذا البيت عن ندمه، حيث لجأ إلى التصريح بضمير المتكلّم المفرد (نا)، والأصل فيه (أنا)، وحذف الهمزة هنا أجازه سيبويه في كلام العرب، بشرط وقوع الهمزة منفصلة ومفتوحة،[28] وأضاف الشاعر ضمير الغائب (هو)، ثم أشار إلى صفته بقوله (اللي صوبني)، ليشير إلى خطئه وإساءته، فاجتمع ضمير المتكلم المفرد والغائب؛ لينجز فعلًا إخباريًا، مما يجعله أكثر وضوحًا ومصرّحًا به، ولا حاجة للسياق لبيان مرجعه؛ لأنه أزال الغموض عن الملفوظ، فجعل السامع لا يُظهر جهدًا في تحديد مرجع العنصر الإشاري، الذي يؤكد ندمه وتحسّره على أسره، عندما جعلت الغربة الكبد جافة كالشنّة، وهي قِربة الماء القديمة غير المستعملة.

ج ـ وقد يذكر الشاعر ضمير المتكلّم المفرد، مستندًا إلى صفاته، فيقول في قصيدته(عليك باب باقفاله):[29]

يانا اللي عيني تْسمّر فيَّا وعقلي عليهم كل يوم أفكار

أرفق الشاعر ضمير المتكلّم المفرد(نا) أي (أنا) بملفوظات إخبارية، توضّح المتكلّم، ولا تصرّح به، إذ إنها تلمح إليه عن طريق الإشارة إلى صفاته بالاسم الموصول (اللي) بمعنى (الذي)، مع إضافة أداة النداء (يا) قبل ضمير المتكلّم، وبالتالي أوضحت المرجع المحدّد، وهو رأي الدكتور أركيوني في عدم تطابق ضمير (نحن) مع (أنا) إلا نادرًا جدًا،[30] يتوقّف على إرادة المتكلّم، والتي ظهرت واضحة عند إحالة كلامه إلى مرجع يعود عليه بقوله (عيني).

د ـ وفي قصيدته(عليك باب باقفاله)، يقول الشاعر:[31]

يا ربنا يا للّي حنون عليّا يا عالْمًا بالسرّ والاجْهار

يا جدودنا لَشراف يا روسيّة ويا مَنْ بعد وضْوًا تلا لْسوار

حْنا في غريق ونطلْبوا بالنيّة ساعة إجابة كلّكم حضّار

طلبْت جاهْكم يْفرّج الله عليّا بعفو كافي لامها بالدار

جمع الشاعر بين ضمير الجمع للمتكلّم في الأسماء، في (ربنا، جدودنا، حْنا)، وضمير الجمع المتصل في الفعل نطلبوا)، وضمير الجمع للمخاطب في (كلّكم، جاهكم)، ونظرًا لأنّ الخطاب التداوليّ تتحكّم فيه عوامل تداوليّة، تجبر المتكلّم على توظيف عناصر إشاريّة معيّنة، يلجأ إليه لتوضيح مقاصده، وقد استعمل الشاعر هذه العوامل في الأبيات السابقة، ففي الفعل (نطلبوا)، استعمل ضمير الجمع، وقصد به شخصه، تعظيمًا لمقامه في نفسه، ففي دعائه لله أن يفرّج عنه بقوله (يا ربّنا)، لم يقل: حنون علينا، بل قال: حنون عليّا، وعند تضرّعه لأجداده الأشراف، ورؤوس العرب، وصف نفسه بالغريق، واستعمل للوصف صيغة الجمع للمتكلّم (حْنا)، أي: نحن نطلبوا، فكانت هذه الضمائر عوامل تربط أبيات النص، وتحيل مرجها لشخص واحد وهو الشاعر، ولتربط هذه الأبيات كذلك بعنوان القصيدة ومطلعها، عندما استهلّها بالحديث عن نفسه، بقوله: يانا اللي عيني، فهو حين يجد نفسه وحيدًا مع ظلام السجن، تنهال عيناه بالدموع حزنًا وألمًا وشوقًا إلى وطنه، وحين يرى نفسه حبيس سجنه الحديدي المقفل، يتوجّه بالدعاء إلى الله ـ تعالى ـ ليفرّج كربه.

أمّا في استعماله لضمير المخاطب (كلّكم)، (جاهكم)، فهو يصوّر لنفسه أجداده وكأنهم حاضرين أمامه للدعاء معه بالفرج وفكّ أسره من سجون الإيطاليين.

فكلّ هذه الضمائر (الظاهرة المتصلة للمتكلّم والمخاطب) لها دور فعّال في اتساق النصّ الشعري، فهي تحتاج إلى السياق المقامي، وإلى الإحالة المقامية، وإلى الترابم النسقي النصي، لتحديد مرجعها الحقيقي.

2 ـ ضمير المخاطب:

قسّم علماء العربية المتقدّمون ضمائر الخطاب إلى المفرد بنوعيه، والمثنّى بنوعيه، والجمع بنوعيه، يقول سيبويه:" وأما المضمر المخاطب فعلامته إن كان واحدًا: أنتَ، وإن خاطبْتَ اثنين فعلامتهما: أنتما، وإن خاطبْتَ جميعًا فعلامتهم: أنتم".[32]

وضمائر الخطاب يكون فيها المتكلّم حاضرًا، بينما المخاطب لا يقتضي حضوره؛ والسبب:" فالمتكلّم حاضر في البنية باللزوم، والمخاطب حاضر بالاقتضاء، والبنية دون اقتضائها لا وجود لها":[33]

أ ـ يقول الشلماني في قصيدته (ياعين نوضي):[34]

يا راقدة طولة الليل هَنيَّة ياعين نوضي خيْر لك م النوم

كَرّي اسْوارك واتْبعي الوصيّة وصلّي اوقاتك فرضْهن متْموم

عارْفين كيانك اليوم قُويّة غير الزّها والصحّ لك ما يدوم

خذنّك ملاهي الدهر يا مَدْعيّة مْعاهن غْرفْتي في بحر دَيُموم

تتمثّل الإشاريات التخاطبيّة عند الشلماني في الأبيات السابقة،في فعل الأمر المتصلة به ياء الخطاب، في (نوضي، كري، اتبعي، صلّ)، الذي يحتاج إلى مخاطب يتلقّى الأمر ويسمعه، وهي نفسه

في هذه الأبيات، والتي يخاطبها بضمير الخطاب(الكاف) في (لك، اسوارك، اوقاتك، عارفتّك، يانك، خذتّك)، فالشاعر هنا يتجاذب أطراف الحديث مع ضميره، الذي يؤنّبه على الركض خلف الحياة، وذلك الخطاب جاء في صورة عينيه الغافلتين، ويحث نفسه على قراءة ما تيسّر من سور القرآن الكريم، وأن تصلّي أوقاتها المفروضة، بعيدًا عن بحر الحياة وملذّاتها.

ب ـ ويقول أيضًا في قصيدته (نسامحوك ياعيني):[35]

نسامحك ياعيني إنْ كان عْميتي جميع الهوايل كلّهن راعيتي

نسامحك من جدي جميع ما جرَى في هالوقت يْرَدّي

استخدم الشاعر ضمير المفرد المخاطب (الكاف)، لمخاطبة عينيه، اللتان تذرفان الدمع حسرة وأسفًا على اعتقاله، والتي يقصد بها نفسه، وهو عنصر إشاري يحيل على مرجع حاضر وقت التلفّظ، فالعلاقة بين الشاعر وعينه التي أرد بها نفسه، هي من أبرز العناصر السياقية التي في استراتيجية الخطاب؛ لأنها عملية تواصل وتفاعل تحقق هدف القائل، لوجود علاقة وطيدة بين المتكلّم والمخاطب في العملية التواصلية.

ج ـ ويقول الشاعر في قصيدته (خرّب قرارك دوم يا فْنيانا):[36]

انتي بلاد الظلم مكْثر جورك سبَبْ بعدْنا من وطنْنا وْضنانا

يدعو الشاعر على المكان الذي اعتقل فيه وسجن، ويصف معتقله في افْنيايا بالظلم لكثرة ما وقع عليه من جور، فهي أبيات تبين مدى معاناة الشاعر في سجنه.

وقد ورد ضمير المفردة المخاطبة (أنتي) للإحالة على مخاطب يعرفه الشاعر، وهي جزيرة افْنيايا، التي اعتقل فيها، وهو عنصر إشاري يُحيل إلى مرجع حاضر وقت التلفّظ، وبذلك فالمتلقي في هذه الحالة لا يحتاج إلى أن يعمل فكره لمعرفة مراد الشاعر، ولا علام يرجع الضمير المنفصل؛ لأنّ المرجع كان قد ذكره الشاعر في أوّل بيت من قصيدته، وهو ما يُعرف بالإحالة القبلية، التي لها دور فعّال في اتساق النصّ الشعري، ممّا يُعطي الخطاب الشعريّ سياقًا تداوليًّا مباشرًا لا يحتاج إلى تأويل.[37]

3 ـ ضمير الغائب:

قسّم علماء العربية الضمير الغائب إلى ظاهر وغير ظاهر(المستتر)، وتعدّد الضمير المتصل الغائب بتعدّد موقعه الإعرابي في حالة الرفع أو النصب أو الجرّ، وتكون للمذكر أوالمؤنث، وللمفرد أو الجمع، حسب مدلولها الذي تساق فيه.[38]

ومن أمثلته في اللهجة الليبية:

أ ـ يقول الشلماني في قصيدته (فراسين كسر):[39]

اسلام صافْيين لْدينهم نغّارة حتّى في السعَادي هم اصْحاب النَّورة

يا نا اللي اليوم ضليلة غزيرْ دمعها ما بَي يْقَصَّر سَيله

جاءت ضمائر الغائب بجميع أنواعها في هذه القصيدة، حيث ظهر العنصر الإشاري في الأبيات السابقة الدال على ضمير الغائب المفرد والجمع بنوعيه:

1. الضمير المنفصل الغائب لجمع المذكر(هم اصحاب).
2. الضمير المتصل الغائب للجمع (لدينهم)، وللمفردة (لدينها)، وللمفرد (سيله).

وكلها تحيل إلى إحالة قبلية، تختلف باختلاف مقاصد الشاعر، فضمير الغائب المنفصل (هم)، والمتصل(لدينهم)، يرجع إلى أهل قبيلة العواقير الذين تم تهجيرهم، والذين ذكرهم الشاعر في الأبيات الأولى من قصيدته، أما الضمير المتصل للمفردة (دمعها)، فيرجع إلى العين الذارفة، والتي ذكرها الشاعر في مطلع قصيدته، والضمير الغائب المفرد(سيله)، فيرجع إلى غزارة الدمع الذي وصفه بالسيل.

وحيث إنّ مبدأ الإحالة يقوم على مبدأ الاتفاق بين العنصرين الاشاري والإحالي، فإنّ كلّ هذه الضمائر تحيل إلى مرجع واحد وهو شاعرنا الشلماني، عندما مرّ على مواطن بعض القبائل التي هجرها أهلها بسبب هجمات العدو الإيطالي، وتبين حال الشاعر وهو يتألّم لرؤيتها خالية من أهلها، بعد وقوفهم في وجه العدو، ومقاومتهم له.

ومن هنا يتبيّن لنا أنّ هذه الإشاريّات تظهر كفاءة المرسل التداوليّة، إلى جانب كفاءته اللغويّة، عندما تداخلت عوامل سياقيّة مختلفة، منها:

- عوامل سياقيّة تبيّن حال الشاعر المتكلّم، وآلامه عند وقوفه على مواطن قومه.
- لجأ الشاعر لإظهار حزنه وألمه إلى استخدام مرجعيّة تحيل إليه بطريقة غير مباشرة، يفهمها المحاطب (السامع)، حين استهلّ قصيدته بقوله:[40]

العين ذارْفة يا نا اليوم سمُورة علي هل ذْيار السلك والمَعمورة.

تظهر كفاءة المتكلّم (الشاعر) التداولية، وهو أثناء حزنه، يفخر بمآثر فرسان قبيلته، فقال:[41]

لا طلبوا لا سلّموا لْنصارى ولا بايعوا لْسَنْيور لا سَنْيورا

فالشاعر يستحضر الغائبين أمامه، وهو عنصر إشاري يحيل على المتكلّم وقومه الذين ارتحلوا عن دارهم إحالة مباشرة مقصودة.

ثانيًا: الإشاريات المكانية، والزمانية:

أطلق علماء العربية المتقدّمون مصطلح الظرف أو المفعول فيه على الإشاريات المكانية والزمانية، وبيّنوا أنواعها وأقسامها، واشترطوا لكي تعمل على تأويل المعنى تأويلًا صحيحًا، أن يتمّ فهم ومعرفة مقاصد المتكلّم،[42] وهذا قصد البحث اللساني الحديث عندما بيّن أنّ دورها يكمن في الإحالة إلى مرجع مكاني أو زماني، فعرّفوا الإشاريات المكانية بأنها:" عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلّم وقت التكلّم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع"،[43] وقالوا عن الإشاريّات الزمنيّة، بأنّها كلمات تدل على زمان يحدّده قصد المتكلّم في سياق حديثه، وسمّوه

مركز الإشارة الزمانية، الذي يزيل اللبس والغموض عن السامع (المتلقّي)،[44] ومن أهم الإشاريات المكانية والزمانية في اللهجة الليبية، ما تناوله الشاعر الشلماني منها في ديوانه، والتي يقصد بها الإشارة إلى أماكن محدّدة، عن طريق وصفها، أو تسميتها، أو تحديد أماكنها، بحيث لا يمكن معرفة المرجع الحقيقي لبعض الإشاريات إلا بذكر مكان وقوع الحدث، الذي قصده الشاعر، والجدول التالي يبيّن هذه الإشاريات:

شطر البيت من قول الشاعر الشلماني	اسم المكان	الصفحة
جابْنا على (كَوزَة) عَرب رُوسيّة	كوزة: اسم مدينة ايطالية في صقلية	40
مصراتة بْلادي جايّين سدادي	مصراتة: سكان بنغازي	48
في وسط برقة حاملين الطّرْقة	برقة: إشارة إلى منطقة زراعية	49
تْهاتن علي البطنان وتْريدنَّه	البطنان: هضبة البطنان	79
في شَقْشاق واعر ع الحبال	شقشاق: مكان مرتفع	100
علي هَل دْيار السّلك والمَعمُورة	وهي مواطن جنوب مدينة سلوق	139

وللسياق اللغوي دور فعّال في تأويل الخطاب، وتحديد مرجعية الملفوظ من الإشاريات المكانية، فالشاعر قد لا يوضّح مكان وقوع الحدث، ولكنّ السامع يفهمه من سياق الحديث، ومنه قول الشلماني في قصيدته(يا من رفعت الشمس):[45]

وإن شا الله ترابي موش حفرة م الحفر روضة عليها طَلَقْ ريح احْنان

تبّتني يا ربي قباله الى نزَر الهمْني جواب الصدق يا حنّان

فقد استعمل الشاعر بعض الألفاظ لبيان مكان وقوع الحدث، فقصد من لفظة(بحفرة)، ألا يكون قبره حفرة من جهنم، وتمنّى أن يكون (روضة) من الجنة، وأما لفظة (قبالة)، فاستخدمها الشاعر للدلالة على جهة أو ناحية الصوت العالي من السائلين في القبر، وبذلك أشارت هذه الإشاريات إلى الإحالة إلى مرجع واحد دون ذكر مكان التلفظ، وقد تعمّد الشاعر أن يطلق لفظ الحفرة على القبر؛ ليبيّن ازدراءه من الحياة، وعندما أراد أن يبيّن سروره أشار إلى القبر بالروضة.

وأما في قوله في قصيدته (ملّاح الطاري):[46]

سعادي خِيرَة قدّام ضَيْفهم ما يعرْفوا تكشيرة

نلاحظ أن الشاعر تكلّم عن صفات أهله وقومه من قبائل السعادي، وبيّن ذلك بقوله (قدّم)، بمعنى أمام، وهو ظرف مكان يحيل إلى مكان المخاطبين من قومه. أما الإشاريّات الزمنيّة، فهي: " كلمات تدل على زمان يحدّده السياق بالقياس إلى زمان التكلّم"،[47] والإحالة على الزمان قد تشمل المدة الزمنيّة كاملة، أو جزء منها، على حسب السياق الذي يحتوي هذه الإشاريّات الزمنيّة، ومن أمثلتها في اللهجة الليبية:

شطر البيت من قول الشاعر الشلماني	الزمان	المدّة الزمنية	الصفحة
وْم العصر ياتوني بْقفل حديد	العصر	جزء من اليوم	31
وْجنها أيام الحزن والتهديد	أيام الحزن	غير محدّدة	32
من يوم مشيتي لاعند يوم الجيّة	من يوم لا عند	محدّدة	39
حُماة السخايا ساعة الزنّان	ساعة الحرب	محدّدة	53
الدهر ما علي واحد يْدول رحيله	الدهر	غير محدّدة	141

فالإحالة على الزمان قد تستغرق المدّة الزمانيّة كلها، كما في قول الشاعر (ساعة الزنّان)، وقد تستغرق مدّة محدّدة من الزمان تحيل على مرجع زمانيّ، كقوله(م العصر)، وقد تتّسع إلى زمن أوسع من كل ذلك تحيل على مرجعها، كما في قوله (الدهر)، ومن هذا كلّه نلاحظ أنّ ما يساعد الإشاريّات الزمنيّة على توضيح مراجعها هو السياق اللغويّ للمتكلّم، عند تلفّظه بالعنصر الإشاريّ الزمانيّ، وقدرة السامع على تأويل مقاصده.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث عن تداولية الإشارة في اللهجة الليبية عن طريق دراسة شعر الشلماني، توصّلت إلى النتائج التالية:

1. فتحت التداولية آفاقًا جديدة أمام الدراسات اللسانية، فغيّرت بعض الاهتمامات الدراسية، معيدة ما همّش من مواضيع، كدراسة اللهجات كمادة كلامية، لها أطراف فعلية تستعمل الكلام في العملية التواصلية.
2. تناولت هذه الدراسة الإشاريّات التداوليّة في ديوان الشاعر فضيل حسين الشلماني؛ لإظهار القيمة التداوليّة للهجة الليبيّة، وسياقها التداوليّ المتمثّل في أنواع الإشاريّات؛ لبيان مقاصد الشاعر والمعاني التي أراد إيصالها إلى المتلقّي، ونوعية العلاقة الاجتماعية بينهما، من خلال مقاربة يُطبَّق فيها بعدًا من أبعاد التداولية (الإشاريّات) من خلال نصّ شعريّ باللهجة الليبية.
3. يعدّ المتكلّم (الشاعر) هو الذات المحورية في قصائد الديوان، فجاءت علاقة العنصر الإشاري بمرجعه حقيقة، من منطلق تجربته الشخصية الواقعية التي خاضها الشاعر إثناء اعتقاله ونفيه من قبل الاستعمار الإيطالي.
4. أدّت الضمائر بأنواعها في ديوان الشلماني دور التواصل، فيمكن تحديدها مباشرة دون الحاجة إلى تأويل أو تفسير، وذلك لتطابق العنصر الإشاري مع مرجعه في أغلب قصائده؛ لصدق العلاقة بينهما وحقيقتها، فهي تظهر علاقة الترابط المتينة بين الموقف(الواقع) وصدق المتكلّم.
5. لعب السياق اللغويّ دورًا بارزًا في تأويل مقاصد الشاعر، وبمعرفة موقع الحدث ومكانه يتبيّن المرجع الحقيقي لبعض الإشاريات المكانية والزمانية، وتحديد مرجعية الملفوظ من هذه الإشاريات، التي قد لا تكون ظاهرة، ولكنّ السامع يستطيع الوصول إلى فهمها من سياق الكلام.

المصادر والمراجع:

•القرآن الكريم.

1. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979، 314/2.
2. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، مادة (دول)، 252/11.
3. من سورة الحشر، الآية:7. .
4. من سورة آل عمران، الآية: 140.
5. بول،جورج، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، ط1، الدار العربية، (د.ت)، ص: 19-20.
6. مزيد،بهاء الدين محمد، تبسيط التداولية، ط1، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010، ص20.
7. عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي، الدار البيضاء، 2000، ص:28.
8. ينظر: بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر حباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2007، ص:18.
9. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004، ص 22.
10. ينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د ط،لا ط، 2002، ص12-13.
11. صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1 2005م، ص166-17.
12. لسان العرب، مادة (شور): 434/4 .
13. ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص80.
14. ينظر: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، كتاب سيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2006م، 350/2 . 351. ابن جني، أبو الفتح عثمان، اللمع في العربية، دار الكتب الثقافية، الكويت، 1972، ص96.
15. جعيدير، عبدالقادر، الإشاريات في شرح المفصل لابن يعيش، دراسة تداولية نصية، رسالة ماجستير، جامعة غرادية، الجزائر، 2015، ص29-30.
16. ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص79.
17. ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص17. 26. بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، ط2، عالم الكتاب الحديث، 2010، ص87.
18. الزبيدي، السيد محمد المرتضى، تحقيق: عبد السلام أحمد فراج، مطبعة الكويت، الكويت، 1965، مادة (لهج) 2/ 95.
19. أنيس إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2003، ص15.
20. ينظر: ديوان الشاعر المجاهد فضيل حسين الشلماني، شاعر معتقل فافنيانا، تحقيق وشرح: يونس عمر فنوش، الهمالي شعيب الحضيري، ط1، منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي، ليبيا، 2004، ص13 ـ 20.
21. ينظر: ديوان الشاعر المجاهد فضيل حسين الشلماني، شاعر معتقل فافنيانا، ص21 ـ 25.
22. ينظر: الحناشي، محمد، الأساس المعرفي لمنظومة الإبداع (مقاربة لسانية ـ تداولية) في التواصل اللساني: المجلد العاشر العددان 1 ـ 2، 2001م، ص89.

23. ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، ط1، مكتبة الهلال، بيروت، 1993م، ص63، 166. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل، تحقيق: ط2، دار الفكر، دمشق، 1985، 19/2.
24. ينظر: ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتالي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988، 247/2.
25. ينظر: ريبول، آن، موشلر،جاك، القاموس الموسوعي التداولي، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص374.
26. ديوان الشاعر المجاهد فضيل حسين الشلماني، ص29، 31.
27. ديوان الشاعر المجاهد فضيل حسين الشلماني، ص77، 81.
28. ينظر: الكتاب: 556/3.
29. ديوان الشاعر المجاهد فضيل حسين الشلماني، ص87 ـ 89.
30. ينظر: الحاج،ذهبية حمو، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة، 1988، ص100.
31. ديوان الشاعر المجاهد فضيل حسين الشلماني، ص87، 93.
32. الكتاب، 350/2.
33. باديس، نرجس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2009، ص243.
34. ديوان الشاعر المجاهد فضيل حسين الشلماني، ص109، 111.
35. المصدر السابق، ص117،115.
36. ديوان الشاعر المجاهد فضيل حسين الشلماني، ص 59، 62.
37. ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام النصّ، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص17.
38. ينظر: اللمع في العربية، ص99 ـ 102. المفصّل في صنعة الإعراب، 166/1.
39. ديوان الشاعر المجاهد فضيل حسين الشلماني، ص137، 140.
40. ديوان الشاعر المجاهد فضيل حسين الشلماني، ص 139.
41. المصدر نفسه، ص 140.
42. ينظر: اللمع في العربية، ص55 ـ56. المفصّل في صنعة الإعراب، 81/1.
43. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص21.
44. ينظر: أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء العربي، 1987، ص42.
45. ديوان الشاعر المجاهد فضيل حسين الشلماني، ص 124.
46. المصدر نفسه، ص129.
47. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص19.